



النظام العراقي يسلم جلود الحملان ولا يجز صوف الكباش

د. باهرة الشبلخي
كاتبة عراقية

ضج العراقيون ووسائل التواصل الاجتماعي، الأسبوع الماضي، بقرار خفض قيمة الدينار العراقي مقابل الدولار، الذي ارتفعت قيمته إلى 1460 ديناراً عراقياً، مما أشعل الأسعار في الأسواق وأضعف رواتب الموظفين، وجاء قرار الاستقطاعات من رواتب الموظفين والمتقاعدين ليزيد الطين بلة. وحفلت الأيام القليلة الماضية، بأخبار واقتباسات من مشروع قانون الموازنة المالية الاتحادية لعام 2021، وأصبحت مادة للعناوين الرئيسية في الصحف والتلفاز والإذاعات، وشغلت المواطنين، صغيرهم وكبيرهم، في أحاديث طغت عليها السوداوية، لشعورهم أنها تمس حياتهم اليومية، لاسيما مع ما أشيع أن الحكومة ستفرض ضريبة على البنزين بنسبة 20 في المئة، مما سيرفع سعر اللتر إلى 540 ديناراً، ورفع سعر وقود الكاز بنسبة 15 في المئة، مع فرض ضريبة مبيعات 10 في المئة على جميع مراكز التسوق التجاري والسجائر والسيارات والمشروبات الكحولية ومحال الحلاقة الرجالية والنسائية وغيرها.

الفقر، حسب وزير المالية في العراق، علي عبدالأمير علاوي، الذي أعلن اعتماد سعر جديد للدينار العراقي، أمام الدولار، بواقع 1450 ديناراً، ضمن ما وصفها بالسياسة الإصلاحية للحكومة، التي ستعتمدها، خلال موازنة 2021، ذلك لأن الفقير يبحث عن لقمة خبز في المزابيل ولا يشتريها من الأسواق وليست لديه سيارة لتؤثر عليه الزيادة في أسعار الوقود، كما أنه لا يشتري من مراكز التسوق (المولات)!

يحمل الاقتصادي العراقي محمد طاقة حكام العراق مسؤولية الاختلالات الهيكلية في الاقتصاد العراقي لعدم امتلاكهم سياسة مالية وتقنية مبنية على فلسفة الدولة الاقتصادية، وإهمالهم القطاعات الاقتصادية: الصناعة والزراعة وقطاع الخدمات، وتدميرهم الاقتصاد العراقي، بعرضهم الدولار يومياً للبيع في سوق البنك المركزي ويحذون 200 مليون دولار تشتريها بنوك تابعة لإيران، ويقول مخاطباً إياهم "النوم وبسبب عجزكم عن معالجة العجز المالي في الموازنة العامة، وعدم إمكانية جلب قروض جديدة، لانعدام ثقة الاخرين بكم لجأتم بقراركم هذا إلى استقطاع 22 في المئة من رواتب الموظفين والمتقاعدين، وهذا ما سينقل كاهل الطبقة الوسطى بالمجتمع، ويؤثر على قوتها الشرائية، ويزيد من نسبة الفقر والعوز عند الأكثرية من المجتمع العراقي".

ويرى طاقة أن هذا الإجراء سيكون مقبولاً، من الناحية الاقتصادية، لو أنه كان موجهاً نحو دعم التصدير ودعم الإنتاج الوطني، لكي يتمكن من منافسة البضائع والمنتجات المستوردة، متسائلاً: ولكن أين الإنتاج الوطني، أين الصناعة التي دمرت، وأين الزراعة التي خربت وقطعت عنها المياه، وأين قطاع الخدمات (لا ماء ولا كهرباء).

في هذه الأثناء، تداول العراقيون رسالة كتبها أحدهم إلى رئيس مجلس الوزراء مصطفى الكاظمي، ونشرها على صفحته في فيسبوك الناقد العراقي المعروف الدكتور ضياء خضير عنوانها "إن جرز صوف الكباش.. خير من سلخ جلود الحملان"، ينقل فيها حكاية رواها قسطنطين فرانسوا فولوني (1757 - 1820) وهو فيلسوف ورحالة ومؤرخ وسياسي فرنسي، عن والي دمشق أسعد باشا العظم، الذي احتاج إلى المال ليسد به النقص الحاد في مذكرات خزينة الولاية (كما هو حال العراق اليوم)، فاقتربت عليه حاشيته أن يفرض ضريبة على المسيحيين، وعلى صناعات النسيج في دمشق، متوقعين أن تجلب هذه الضريبة من خمسين إلى ستين كيساً من الذهب، لكن والي اعترض على ذلك لأن من اقترحتهم الحاشية أناس من محدودي الدخل ولا يستطيعون جمع مثل هذا المبلغ.. فمن أين سيأتون بهذا القدر من المال؟

في اليوم الثاني، أرسل أسعد في طلب المفتي، وقابله سراً، وأخبره أنه يسلك في بيته سلوكاً غير قويم لا يليق به كمفت فهو يشرب الخمر، مخالفاً الشريعة وأنه - والي - في سبيله لإبلاغ إسطنبول، فأخذ المفتي يتوسل ويعرض مبالغ مالية على أسعد باشا لكي بطوي الموضوع، وتم الاتفاق على أن يدفع المفتي ستة آلاف قطعة نقدية، وهكذا استدعى القاضي متهماً إياه بأخذ الرشوة، ولم يخلص نفسه من والي إلا بعد أن دفع له مبلغاً مساوياً للمبلغ، الذي دفعه المفتي، وهكذا فعل مع المحتسب، وأغا الإنكشارية (رئيس الجيش)، والنقيب، وكل من له مسؤولية، في ذلك

مأزق حاد للحكومتين الإثيوبية والسودانية

محمد أبو الفضل
كاتب مصري

تحول شعار بعض السودانيين "إثيوبيا أخت بلادي" إلى مأزق بعد التطورات السلبية في مسار العلاقات بين الخرطوم وأديس أبابا وتعثر محاولات إصلاحها، حيث عول من صكوا هذا الشعار على عقد تحالف متين، في ظل خطوات إيجابية رشحت على الصعيدين الشعبي والرسمي عقب سقوط نظام الرئيس السابق عمر البشير. جاءت الرياح بما لا تشتهي السفن، ويواجه الطرفان مواقف متحرجة في ملفي الحدود المشتركة الذي يزداد اشتعالاً، وسد النهضة الذي اقترب فيه السودان كثيراً من الرؤية المصرية، وبدت الخرطوم أحياناً أكثر تشدداً من القاهرة في المطالبة بتوقيع اتفاق ملزم بضم حقوق جميع الأطراف، وتكاد تغرد أديس أبابا وحيدة في المفاوضات.

مأزق حاد للحكومتين الإثيوبية والسودانية

من قبل الرئيس دونالد ترامب بسبب مفاوضات إثيوبيا في مفاوضات سد النهضة. في المقابل، وجدت الحكومة السودانية نفسها مضطربة إلى مساندة الكون العسكري في مجلس السيادة الانتقالي، الذي يبنيني موقفاً متشدداً في ملفي الحدود وسد النهضة، خاصة أن رؤية الجيش السوداني تستند على أسس وطنية ظاهرة غلبتها على العواطف السياسية، وأي تخل من جانب الحكومة عن دعم هذه الرؤية يمثل انتقاصاً لها أمام الشارع الذي بدأ قطاع كبير فيه يعيد النظر في شعار "إثيوبيا أخت بلادي". جاء المأزق المشترك للحكومتين وليد طموحات ورهانات وضعها كل طرف على الآخر، وهما يعلمان أن ثمة حزمة من الأزمات المكبوتة قابلة للانفجار، مع ذلك جرى تجاهل تطويقها، اعتقاداً في أن المصالح المشتركة قادرة على ردم الجوانب المسكوت عنها، أو أن الشجون السياسية التي تجاوبت معها شرائح متباينة كفيفة يرد كل هوة تطفو على السطح.

عندما حانت لحظة الحقيقة لم يجد كل طرف قدرة على المكاشفة، فالحكومة السودانية رغم تأييدها الملن للجيش لم تقدم على خطوة تجعلها في مواجهة ساخنة مع نظيرتها في إثيوبيا، ورضيت بالقليل لتحاشي الوصول إلى منطقة سياسية تخرج عن السيطرة. قام رئيس الحكومة عبدالله حمدوك بزيارة خاطفة لأديس أبابا الأسبوع الماضي، بدا بعدها كأنه أحمد نارا مشتعلة، غير أن التطورات اللاحقة كشفت أن النار لا تزال خامدة تحت الرماد، وأي نفخ سياسي فيها يمكن أن يحرق أصابع الطرفين، وهو ما تشير إليه التحركات العسكرية على الحدود، حيث بسط الجيش السوداني سيطرته على نسبة كبيرة من منطقة "الفشقة" لأول مرة منذ ربع قرن.

الأهم أن جزءاً من الحدود المشتركة تحول إلى منطقة جذب للاجئين إثيوبيين هربوا من القتال في تيغراي، ما خلق مشكلة أمنية واقتصادية وإنسانية للسودان، يمكن أن تحول إلى أزمة مع اتهامات مبطنة وجهتها عناصر في أديس أبابا للخرطوم بشأن اندساس قيادات معارضة في صفوف اللاجئين، وتحذيرات من تسليح هؤلاء ليكونوا نواة عسكرية تنشط انطلاقاً من الأراضي السودانية، وتعيد لعبة توظيف المعارضة. المأزق الخبير بالنسبة للحكومتين أن كليهما تواجه أزمات مركبة، تمنع التهاون وتقديم تنازلات، وتكبح التصعيد خوفاً من توسيع مستوى الاشتباك، فكل طرف يدرك أن النتيجة لن تكون في صالحه، وأي انجرار وراء التسخين لأهداف دعائية يؤدي إلى زيادة التعقيدات التي تنعكس سلباً على منسوب الأمن والاستقرار داخل البلدين. يأتي القلق من رحم توظيف قيادات عسكرية في إثيوبيا للمشكلات، على قاعدة إذا أردت أن توحّد شعباً أوجد له عدواً خارجياً، ولأن التصعيد مع مصر في ملف سد النهضة استنزف أعضائه تقريباً، وأزمة تيغراي يصعب استثمارها في التوحيد الرضائي للشعوب الإثيوبية، يعتقد هؤلاء أن السخونة على الحدود مع السودان قد تضمن التناغم وطنيا حول الحكومة المركزية. كما أن المكون العسكري في مجلس السيادة السوداني يجد في منازلة محدودة تكريساً لدور يجذب به أطيافاً

الحكومة السودانية رغم تأييدها الملن للجيش لم تقدم على خطوة تجعلها في مواجهة ساخنة مع نظيرتها في إثيوبيا

أخفقت الزيارات الرسمية المتبادلة في تحقيق تقدم يشير إلى التفاهم في الملفين، ووجد أبي أحمد رئيس الحكومة الإثيوبية بلاده في وضع غاية في الحساسية، فيمكن أن يخسر السودان إذا قرر الانتصار لرؤية عصابات "الشفقة" المسنودة من قوات عسكرية نظامية في السيطرة على منطقة "الفشقة" السودانية، أو ماطل في عمل اللجنة المنوط بها ترسيم الحدود وغلغ الطرق الوعرة في أزمة مزمنة. ربما يخسر الرجل جزءاً جديداً من شعبيته في الداخل إذا انتصر السودان وأعاد "الفشقة" إليه، فالمنطقة تسيطر عليها ميليشيات تابعة لجماعة الأمهرة، وهي من أهم الجماعات العرقية التي تساندته في حرب إقليم تيغراي، وأي احتياض ضدها في هذه الأجواء يخلف وراءه نتائج سياسية قاتمة، في وقت لم ينه فيه من طي جراح تيغراي. وقوع أبي أحمد بين فكي رحن "الفشقة" والأمهرة، يفسر تذبذب موقفه من الخرطوم، فهو تارة يبدو قريباً منها، والعكس في بعض الأحيان، فحسم هذه المعادلة بحاجة لمزيد من الحنكة ليقتز على أشواكها العديدة، ويستطيع الحد من الضغوط الواقعة على حكومته، لذلك ظهر لكثيرين كمن يمد يداً للسودان ويسحب الأخرى بعيداً عنه. يامل الرجل في التوصل لدرجة معقولة من التوازن، يمكنه من المحافظة على ثبات تحالفه مع الأمهرة ويتجنب ذهاب السودان بعيداً عنه، ففقدان أحدهما أو كليهما يعني منح خصومه في الداخل والخارج فرصة لممارسة ضغوط قاسية عليه. وقد لا تلغ خطوته في تحديد موعد لإجراء الانتخابات العامة، المقررة في يونيو المقبل، في نزع فتيل أزمة تهدد مصيره السياسي أو يجني من خلف رهبانه على الإدارة الأمريكية الجديدة ثماراً تعيد تصويب مسار علاقته مع واشنطن بعد فرض عقوبات اقتصادية

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
أسسها 1977
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدرء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
منى المحروقي

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة يعقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 - 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

